شرح الأربعين النووية

الحديث الأول

إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

الجزء الثاني

الإخلاص: أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى.

كما قال الله تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...) [الزمر:3]، وقال الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...) [البينة:5].

ومعنى الخالص في اللغة: أي الصافي النقي، كما في قول الله سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ) [النحل:66]

أي يُخرج الله سبحانه وتعالى من ضرع بهيمة الأنعام اللبن الذي يخرج من بين الفرث والدم، ثم يخرج بهذا الصفاء وهذا النقاء لا ترى فيه قطعة فرث، ولا ترى فيه قطرة دم، بل هو في أشد ما يكون صفاءً، لا شائبة فيه، (لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ): فالخالص: هو الصافي النقي.

فمعنى مخلصًا له دينك أي أن يكون دينك كله صافيًا لله وحده ليس لأحد فيه شيء.

أن تعبد الله وحده أي مفرداً له وحده سبحانه وتعالى بالعبادة، لا تجعل معه شريكاً لا في قليل العبادة ولا في كثيرها، أن تجعل دينك كله لله خالصًا لله، ليس لأحد فيه شيء.

الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن بتصفية العمل، عن ملاحظة المخلوقين.

صدق الاخلاص النية: (عندما يكون الباطن أعمر من الظاهر).

هذا الإخلاص: هو سر ثبات العبد في دينه مهما وقع عليه من البلاء، مثلما سمعنا عن صحابة رسول الله -ﷺ- سمية بنت الخياط، وبلال بن رباح، خباب بن الارت رضوان الله عنهم أجمعين، عذبوا وأوذوا وبصدق النوايا ثبتوا، ولم يتراجعوا عن التوحيد.

قال السلف: أن العبد يبلغ بنيته مالا يبلغه بعمله.

قال رجل لأبي الدرداء أوصني فقال له: اذكر يوماً تصير فيه السريرة علانية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:72] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:9]

إنما الأعمال بالنيات؛ إنما تفيد الحصر يعني قيمة العمل منوطة حصراً بنيته لذلك، الأعمال العظيمة بدون إخلاص لا تنفع صاحبها قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان:23]

كثرة العمل لا تفيد مع فساد النية، أنظروا مصير أعظم الأعمال وعامليها إذا فقد الإخلاص، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ :"إنّ أَوّلَ النّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتّى أُلْقِيَ فِي النّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلّمَ العِلْمَ وَعَلّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلّمْتُ العِلْمَ وَعَلّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ تَعَلّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتّى أُلْقِيَ فِي النّارِ، وَرَجُلٌ وَسّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمّ أُلْقِيَ فِي النّارِ".
رواه مسلم

وقلة العمل تفيد مع صدق النية: ففي حديث البطاقة الذي طاشت فيه سجلات السيئات وطارت مع قلة العمل، بفضل إخلاص النية وابتغاء وجه لله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: بَلَى؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ

فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ". صححه الألباني

إحسان الوضوء وصلاة ركعتين بحضور قلب: قال -ﷺ-:"ما من مسلمٍ يتوضأ فيُسبِغُ الوضوءَ، ثم يقوم في صلاتِه، فيعلمُ ما يقول، إلا انفتَل، وهو كيوم ولدَتْه أمُّه". صحيح الترغيب

قال -ﷺ-:" مَن تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِما نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ". متفق عليه

قال -ﷺ-: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِه وَوَجْهِهِ، إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ". رواه مسلم

ويقول ابن القيم رحمه الله: "أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإنّ النيّة بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح ماتت، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح".

رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته، الجهاد ذروة سنام الإسلام وأعلى شيء في الإسلام الجهاد والمجاهد يضع ماله ويضع حياته ويضع روحه؛ قال -ﷺ-: " مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْوِ إلا عِقَالا فَلَهُ مَا نَوَى ". رواه النسائي

إذا كان في نيته أن يكسب بعض الغنائم أقلها عقال وعقال بعير أي زمام بعير؛ أو درع أو سيف فله ما نوى هذا كل أجره من الجهاد.

والخلق يبعثون على نياتهم، فاعل الخير يسعد بنيته، وفاعل الشر يشقى بنيته، كما في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْه، قَالَ "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". صحيح البخاري

في الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: " أنَّ رَسولَ اللَّهِ -ﷺ-التَقَى هو والمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ- إلى عَسْكَرِهِ، ومَالَ الآخَرُونَ إلى عَسْكَرِهِمْ، وفي أَصْحَابِ رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- رَجُلٌ لا يَدَعُ لهمْ شَاذَّةً ولَا فَاذَّةً، إلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بسَيْفِهِ، فَقالَ: ما أَجْزَأَ مِنَّا اليومَ أَحَدٌ كما أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَمَا إنَّه مِن أَهْلِ النَّارِ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قالَ: فَخَرَجَ معهُ؛ كُلَّما وقَفَ وقَفَ معهُ، وإذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ معهُ، قالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بالأَرْضِ، وذُبَابَهُ بيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ علَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إلى رَسولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسولُ اللَّهِ. قالَ: وما ذَاكَ؟ قالَ: الرَّجُلُ الذي ذَكَرْتَ آنِفًا أنَّهُ مِن أَهْلِ النَّارِ، فأعْظَمَ النَّاسُ ذلكَ، فَقُلتُ: أَنَا لَكُمْ به، فَخَرَجْتُ في طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ في الأَرْضِ، وذُبَابَهُ بيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عليه فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-عِنْدَ ذلكَ: إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ -فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ- وهو مِن أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ -فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ- وهو مِن أَهْلِ الجَنَّةِ. صحيح البخاري

خطورة النية: وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى هذه هي نيّة المعمول له، والناس يتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً، حيث تجد رجلين يصلّيان بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب أو مما بين السماء والأرض في الثواب، لأن أحدهما مخلص والثاني غير مخلص.

وتجد شخصين يطلبان العلم في التّوحيد، أو الفقه، أو التّفسير، أو الحديث، أحدهما بعيد من الجنّة والثاني قريب منها، وهما يقرآن في كتاب واحد وعلى مدرّسٍ واحد.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ-: قال: «مَنْ تعلَّم علْمًا ممَّا يُبْتَغى به وَجْهُ الله -عز وجل- لا يَتعلَّمُه إلا لِيُصِيبَ به عَرَضًا من الدنيا، لمْ يَجِدْ عَرْفَ الجنة يومَ القيامة». يعني ريحَها "صحيح الترغيب، فالواجب اخلاص النية لله عزّ وجل.

ندعوا الله أن يرزقنا الإخلاص:﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾ [الإسراء:80]

قال السعدي: أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر.

إذاً النية الصادقة يجب أن تصاحب العمل طوال العمل ويجب أن تكون شرطاً له أي أن تنطلق منه.

النية شرعت للتمييز: ❶فهي تميز المعمول له❷ وتميز العبادة عن العبادة❸ تميز العبادة عن العادة.

فهي تميز المعمول له: هل أنت عملت لله أو عملت للدنيا.

تمييز العبادات بعضها من بعض مثاله: فإن نية الصلاة المعينة شرط في صحة الصلاة، فلو لم ينو المصلي الصلاة المعينة لم تصح صلاته، الصَّلَاةُ فَلَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَعْيِينِ شَخْصٍ الْعِبَادَةَ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْيِينِ الصَّلَاةِ إِنْ عَصْرًا فَعَصْرًا، وَإِنْ ظُهْرًا فَظُهْرًا.

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: عن تغيير النية في الصلاة؟

فأجاب:" تغيير النية إما أن يكون من معيَّن لمعيَّن، أو من مطلق لمعيَّن: فهذا لا يصح، وإذا كان من معيَّن لمطلق: فلا بأس.

❍مثال ذلك: من معيَّن لمعيَّن: أراد أن ينتقل من سنة الضحى إلى راتبة الفجر التي يريد أن يقضيها، كبَّر بنية أن يصلي ركعتي الضحى، ثم ذكر أنه لم يصل راتبة الفجر فحولها إلى راتبة الفجر: فهنا لا يصح؛ لأن راتبة الفجر ركعتان ينويهما من أول الصلاة.

❍كذلك أيضاً رجل دخل في صلاة العصر، وفي أثناء الصلاة ذكر أنه لم يصل الظهر فنواها الظهر: هذا أيضاً لا يصح؛ لأن المعين لابد أن تكون نيته من أول الأمر.

❍وأما من مطلق لمعيَّن: فمثل أن يكون شخص يصلي صلاة مطلقة – نوافل – ثم ذكر أنه لم يصل الفجر، أو لم يصل سنة الفجر فحوَّل هذه النية إلى صلاة الفجر أو إلى سنة الفجر: فهذا أيضاً لا يصح.

❍أما الانتقال من معيَّن لمطلق: فمثل أن يبدأ الصلاة على أنها راتبة الفجر، وفي أثناء الصلاة تبين أنه قد صلاها: فهنا يتحول من النية الأولى إلى نية الصلاة فقط.

❍ومثال آخر: إنسان شرع في صلاة فريضة وحده ثم حضر جماعة، فأراد أن يحول الفريضة إلى نافلة ليقتصر فيها على الركعتين (ثم يصلي الفريضة مع الجماعة) فهذا جائز؛ لأنه حوَّل من معين إلى مطلق.

📑قطع نية العبادة نوعان، نوع لا يضره شيء وذلك بعد كمال العبادة ..... والثاني: قطع نية العبادة في حال تلبسه بها ..... فهذا لا تصح عبادته ... " قال العلامة السعدي في الفتاوي السعدية ص 228 " ⇦إذا نوى الإنسان قطع العبادة أثناء فعله لها بطلت، ولا يستثنى من ذلك إلا الحج والعمرة، فلا يبطلان بقطع النية ولا بالتصريح بالقطع، بل يظل المحرم على إحرامه حتى يؤدي نسكه أو يتحلل بالإحصار .

📂وتمييز العادات من العبادات:

✉وتنقسم العبادات غير المحضة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: فِعل الواجبات والمستحبات: وذلك مثل بر الوالدين، وصلة الرحم، زيارة المريض، والإصلاح بين الناس، والنفقة على الزوجة والأهل والأقارب، وإكرام الضيف، والقرض، والهدية ونحو ذلك، فهذه إذا فعلها المسلم مبتغياً بذلك وجه الله تعالى صار ذلك عبادة يثاب عليها فاعلها.

الثاني: ترك المحرمات والمكروهات: ابتغاء وجه الله، مثل ترك الغيبة والنميمة، وترك الربا والزنى، والسرقة، والغش، وسائر الفواحش، فهذه إذا تركها المسلم ابتغاء وجه الله ، طلباً للثواب، وخوفاً من العقاب ، وامتثالاً لأمر الله ، كان ذلك الترك عبادة يثاب عليها فاعلها .

الثالث: فِعل المباحات ابتغاء وجه الله: تعالى كالبيع والشراء، والأكل والنوم وغيرها من الأعمال المباحة، فهذه إذا فعلها المسلم ابتغاء وجه الله، صار فعله عبادة يثاب عليها.

❁ورجل لبس يوم الجمعة أحسن ثيابه لأنه يوم جمعة فهذه عادة، والثاني لبس أحسن ثيابه تأسياً بالنبي -ﷺ-، فهو عبادة.

❁الرجل يأتي أهله شهوة فقط عادة، والرجل الآخر يأتي أهله ليعف نفسه وآهله من الفاحشة عبادة.

❁الرجل يغتسل بالماء تبرداً، والثاني يغتسل بالماء من الجنابة، فالأول عادة، والثاني: عبادة، ولهذا لوكان على الإنسان جنابة ثم انغمس في البحر للتبرد ثم صلى فلا يجزئه ذلك، لأنه لابد من النية، وهو لم ينو التعبّد وإنما نوى التبرّد.

🖒 قال بعض أهل العلم: عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات.

📁وعادات أهل اليقظة عبادات، فكل عمل يقصد به التقرب إلى الله، واتباع سنة رسول الله – ﷺ– فإنه من الأعمال الصالحة، لأننا قصدنا التقرّب إلى الله والتقرب إلى الله هو العبادة.

✉لنحول عاداتنا إلى عبادات فقط نحتاج استحضار النية، نحن نتزاور كثيرا، ونقطع من اوقاتنا ساعات لهذا الامر، والنية للتسلية أو اسقاط الواجب..... الخ، فلماذا لا تكون النية التقرب لله بهذا العمل، ولنسمع لهذا الحديث روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي –ﷺ– "أَنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ اللَّهُ له، علَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أتَى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ، بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ" صحيح مسلم

✉زيارة المرضى، كم منا يخسر الأجر والثواب والعطايا والهبات من الرحمن، بسبب النوايا الدنيوية، زارتني أزورها، لم تزرني لن أزورها، قال النبي –ﷺ–:"ما مِن مسلِمٍ يعودُ مُسلِمًا غدوةً إلَّا صلَّى عليهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُمسيَ، وإن عادَهُ عشيَّةً إلَّا صلَّى عليهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُصبِحَ، وَكانَ لَه خريفٌ في الجنَّةِ". صحيح الترغيب

✉نزول الرحمة والمغفرة على من يزور المريض؛ فقد ورد عن النبي –ﷺ– قوله: "من عاد مريضًا لم يزلْ يخوضُ في الرحمةِ حتى يجلسَ فإذا جلس اغتمس فيها". صححه الالباني

📁مكان النية: واعلم أن النية محلها القلب، ولا يُنْطَقُ بها اطلاقاً، لأنك تتعبّد لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والله تعالى عليم بما في قلوب عباده، ولست تريد أن تقوم بين يدي من لا يعلم حتى تقول أتكلم بما أنوي ليعلم به، إنما تريد أن تقف بين يدي من يعلم ما توسوس به نفسك ويعلم متقلّبك وماضيك، وحاضرك.

📃ولهذا لم يَرِدْ عن رسول الله ولاعن أصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتلفّظون بالنيّة ولهذا فالنّطق بها بدعة يُنهى عنه سرّاً أو جهراً.

✉وهنا مسألة: إذا قال قائل: قول المُلَبِّي: لبّيك اللهم عمرة، ولبيك حجّاً، ولبّيك اللهم عمرة وحجّاً، أليس هذا نطقاً بالنّية؟ فالجواب: لا، هذا من إظهار شعيرة النُّسك... ولهذا قال بعض العلماء: إن التلبية في النسك كتكبيرة الإحرام في الصلاة، فإذا لم تلبِّ لم ينعقد الإحرام، كما أنه لو لم تكبر تكبيرة الإحرام للصلاة ما انعقدت صلاتك.

"فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله (نية وقصدًا) فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله (ثوابًا وأجرًا)، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا، أَو امْرأَة يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"

❁الهجرة في اللغة: مأخوذة من الهجر وهو التّرك.

❁وأما في الشرع فهي: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

☜ومن أنواع الهجرة حتى نظفر بهذا الفضل العظيم، والثواب الكبير:

هجر المعاصي من الكفر والشرك والنفاق وسائر الأعمال السيئة والخصال الذميمة، قال النبي -ﷺ-: «المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ ويَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه» صحيح البخاري

أي ترك ما نهى الله عنه من الأعمال والأخلاق والأقوال والمآكل والمشارب المحرمة والنظر المحرم والسماع، كل هذه الأمور يجب هجرها والابتعاد عنها.

ومن أنواع الهجرة هجر العصاة من الكفار والمشركين والمنافقين والفساق وذلك بالابتعاد عنهم، قال الله تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [المزمل:10] أي: اصبر على ما يقوله من كَذَّبك من سفهاء قومك: {وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً} [المزمل:10] أي اتركهم تركاً لا عتاب معه.

هَجْرُ أَمَاكِنِ الْمَعَاصِي؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68].

ومن أعظم أنواع الهجرة هجرة القلوب إلى الله تعالى بإخلاص العبادة له في السر والعلانية، حتى لا يقصد المؤمن بقوله وعمله إلا وجه الله، ولا يحب إلا الله ومن يحبه الله، وكذلك الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباعه وتقديم طاعته والعمل بما جاء به.

قال بعض العلماء إن أول هجرة النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن من مكة إلى المدينة بل كانت إلى الله حينما توجه إلى غار حراء، والإنسان حينما يخلو مع ربه هذا نوع من الهجرة إليه، حينما تأوي إلى بيت من بيوت الله لتطلب العلم أو حينما تقبع في غرفة من بيتك تذكر الله عز وجل فهذه هجرة إلى الله، أول هجرة هاجرها النبي عليه الصلاة والسلام إلى غار حراء، هاجر إلى الله ألم يقل الله عز وجل:﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[الذاريات:50]

الهجرة المعنوية والهجرة الحسية:

❶الهجرة المعنوية واجبة: على كل مؤمن يريد الله والدار الاخرة، يهجر الدنيا ومتاعها الزائل، ليختلي بربه ويناجيه ويستهديه، وينال شرف اللقاء مع ملك الملوك، كما فعل رسول الله -ﷺ- وسلام في غار حراء.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن في القلب وحشة لا يذهبها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وفيه فاقة – يعني: فقر – لا يذهبها إلا صدق اللجوء إليه ولو أُعطِيَ الدنيا وما فيها لم تذهب تلك الفاقة أبدًا.

❷ الهجرة الحسية: وهذه واجبة على كل من لا يستطيع إظهار دينه، وإعلان شعائر الدين.

كهجرة المسلمين من مكّة إلى الحبشة، تركوا ارضهم وأموالهم وأهليهم، يريدون الله ورسوله –ﷺ–، مثل رقيّة بنت النبيّ -ﷺ- مع زوجها عثمان بن عفّان رضيَ الله عنهما، والزّبير بن العوام رضيَ الله عنه، ومصعب بن عمير رضيَ الله عنهم أجمعين وغيرهم ...

أو من مكّة إلى المدينة، مثل مصعب بن عمير وابن مكتوم، بلال بن رباح... رضيَ الله عنهم أجمعين وغيرهم ...وحينما أراد صهيب الرومي رضي الله عنه الهجرة من مكة إلى المدينة، تنازل عن جميع ماله ليسمحوا له بالهجرة، فكل هذا لأجل الله ورسوله -ﷺ- نصروا الدين، بأنفسهم، أموالهم، وأثنى الله عليهم ومدح إخلاصهم.

فمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ

الهجرة واجبة وحكمها باقٍ إلى قيام الساعة جاء في الحديث الصحيح :"لا تنقطِعُ الهجرةُ حتَّى تنقَطعَ التَّوبةُ"، أما حديث: أما قوله -ﷺ-:" لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ " فإنما المراد به من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام، أما البقاء بدار الكفر، والإقامة بدار الكفر فلا تجوز بحال ولا يعفى عن أحد مستطيع، أما الذي لا يستطيع الحيلة فإنه معذور؛(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[النساء:97].

معنى ظالمي أنفسهم بالإقامة بين أظهر المشركين وهم قادرون على الهجرة، فكل بلدٍ ضار فيها الكفار، ولم يستطيع المسلم فيها إظهار دينه، ولا إقامة دينه فهذا يلزمه أن يهاجر فإن أقام كان عاصياً بالإجماع، أما المستضعف من الرجال والنساء والولدان فقد عذرهم الله، وهم الذي لا يستطيعون حيلة لعدم النفقة أو لأنهم مقيدون، مسجونون، أو لا يهتدون سبيلاً لأنهم جهال

بالطريق، لا يعرفون الطريق، لو خرجوا هلكوا، لا يعرفون السبيل فهم معذورون حتى يسهل الله لهم فرجاً ومخرجاً من بين أظهر المشركين، والله المستعان، لقول الله –تعالى –: {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) [النساء:98-99]

قال ابن عثيمين رحمه الله: وأما السفر إلى بلاد الكفار فلا أرى جواز السفر إلا بشروط:

الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات، لأن هناك في بلاد الكفار يوردون على أبناء المسلمين الشبهات حتى يردوهم عن دينهم.

الثاني: أن يكون عند الإنسان دين يدفع به الشهوات، فلا يذهب إلى هناك وهو ضعيف الدين، فتغلبه شهوته فتدفع به إلى الهلاك.

الثالث: أن يكون محتاجاً إلى السفر بحيث يكون هناك ضرورة. في(مجموع الفتاوى) للشيخ ابن عثيمين

هل يؤثر موت العبد في بلاد الكفار؟ فإن الموت مكتوب على الناس أينما كانوا؟ وما يدري العبد متى ولا أين يموت؟ وإذا قضى الله موت عبد بأرض فلا مفر من ذلك، ولكن موت العبد بأرض الإسلام أو الكفر لا أثر له إلا بحسب ما ختم له به، فمن كان من الطائعين وذهب لبلاد الكفر مجاهدا أو داعيا أو باحثا عن دواء، فلا يضره موته ببلاد الكفر، فقد توفي أبو أيوب الأنصاري على مشارف القسطنطينية ولم يضره ذلك، ثم إنه يتعين الحرص على دفن المسلم بمقابر المسلمين وإبعاده عن مقابر الكفار، فإن لم يوجد مكان يدفن به فلينقل إلى أقرب بلد إسلامي إذا أمن التغير والامتهان، وإلا دفن حيث توفي، وعلى المسلم أن يحرص على البعد عن مساكنة الكفار خشية من تأثره بأخلاقهم وفساد اعتقاداتهم. اسلام ويب

مسألة: هل الهجرة واجبة أم مستحبة؟ الجواب: فيه تفصيل، إذا كان الإنسان يستطيع أن يظهر دينه وأن يعلنه ولا يجد من يمنعه في ذلك، فالهجرة هنا مستحبة. وإن كان لا يستطيع فالهجرة واجبة وهذا هو الضابط للمستحبّ والواجب. وهذا يكون في البلاد الكافرة، أما في البلاد الفاسقة –وهي التي تعلن الفسق وتظهره– فإنا نقول: إن خاف الإنسان على نفسه من أن ينزلق فيما انزلق فيه أهل البلد فهنا الهجرة واجبة، وإن لا، فتكون غير واجبة. بل نقول إن كان في بقائه إصلاح، فبقاؤه واجب لحاجة البلد إليه في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

✉وهنا مسألة: بعد موت الرسول -ﷺ- هل يمكن أن نهاجر إليه عليه الصلاة والسلام؟ والجواب: أما إلى شخصه فلا، ولذلك لا يُهاجر إلى المدينة من أجل شخص الرسول -ﷺ-، لأنه تحت الثرى، وأما الهجرة إلى سنّته وشرعه -ﷺ- فهذا مما جاء الحث عليه وذلك مثل: الذهاب إلى بلدٍ لنصرة شريعة الرسول والذود عنها.

✉فالهجرة إلى الله في كل وقت وحين، والهجرة إلى رسول الله لشخصه وشريعته حال حياته، وبعد مماته إلى شريعته فقط، (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)[النساء: 59]

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-:" لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ". فنهى عن اتخاذ قبره عيدا

📋هذه تسمى الهجرة الشرعية: قال ﷺ :فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله أي: من جهة القصد، أنه يريد بهذه الهجرة ما عند الله -تبارك وتعالى، فيترك الأهل والوطن والعشيرة لله، وفي الله، رجاء ما عند الله، فهذا تكون هجرته شرعية وصحيحة، ويؤجر عليها، وتكون من أجل الأعمال وأفضلها، ولهذا حكم لها بذلك، فقال :فهجرته إلى الله ورسوله.

📋أما الهجرة غير الشرعية كما قال -ﷺ- :ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها يعني: أنه هاجر من أجل تجارة، أو من أجل وظيفة، أو من أجل مطامع دنيوية، أو امرأة ينكحها، فلا ينالُ مِن هجرتِه إلَّا تلك المنفعةَ الَّتي نواها، ولا نصيبَ له مِنَ الأجرِ والثَّوابِ.

✉وعن يحيى بن أبي كثير قال: "تعملوا النية، فإنها ابلغ من العمل".

✉وقيل لحمدون بن أحمد: "ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا، قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق".

📣الإخلاص سبب لعظم الجزاء مع قله العمل، وقد دلّ على ذلك نصوص النبوية ومنها:

❁حديث المرأة التي سقت الكلب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي -ﷺ-: " بيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ، كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لها بهِ ". صحيح البخاري

❁وحديث الرجل الذي أماط الأذى عن الطريق، فعن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: "بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له ". صحيح البخاري

ولهذا من ثمار إخلاص النوايا:

❶تحقيق التوحيد ودخول الجنة بدون عذاب، قال رسول الله -ﷺ-: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ). رواه بخاري

❷ تفريج الكربات، قصة الثلاثة في الغار، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ : بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الثَّانِي اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ فَقُمْتُ عَنْهَا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أُرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَهْزَأُ بِكَ فَخُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرَاعِيَهَا فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ . رواه البخاري

❸ العصمة من الشيطان: قال تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف:24]

✉فإن قوة إخلاص يوسف عليه السلام كان أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبه لها. ابن تيمية – الفتاوى، (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص:82-83]

❹ نيل شفاعة محمد -ﷺ-: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " قلتُ يا رسولَ اللهِ من أسعدُ النَّاسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ ....، قال-ﷺ- أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ".

❺ مغفرة الذنوب ونيل الرضوان: كما في حديث البطاقة الذي تم ذكره سابقاً، والمرأة البغي التي سقت الكلب، والرجل الذي أزاح الشجرة من الطريق.

📄قال شيخ الإسلام ابن تيمية وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته، وقال فمن كان مخلصاً في أعمال الدين يعملها لله كان من أولياء الله المتقين.

✉فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر. ابن الجوزي – صيد الخاطر

✉قال الشافعي: " وددت أن الناس تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليَّ منهُ شيء ".

✉كان علي بن الحسين (زين العابدين)، يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره، ويوصل ذلك إلى بيوت الأرامل والفقراء في المدينة، ولا يعلمون من وضعها، وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره ... لئلا يطلع عليه أحد ... وبقي كذلك سنوات طويلة، وما كان الفقراء والأرامل يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام ... فلما مات وجدوا على ظهره آثاراً من السواد، فعلموا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره، فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين.

نسأل الله أن يصلح أقوالنا، وأعمالنا، وقلوبنا، وأن يرزقنا وإياكن نية صالحة، في كل شيء.